التفكير في إدارة المنزل

تاريخ النشر في جريدة أخبار الخليج: 16 إبريل 2017

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

ماذا لو قلت لكم إنه أبحرت سفينة من بلد ما وظلت تجوب البحار الهادئة والثائرة طوال عشرات السنوات، من غير أن تتعرض يومًا لعاصفة هوجاء أو رياح تؤرجح السفينة لحظة من تاريخها، هل تصدقون؟ لا أعتقد أن هناك عاقلا سيصدق ذلك.

يقول أدلهايت هوبسز «الزواج لا يعني ميناء السلامة الأمين الذي تنتهي إليه السفينة، إنها رحلة طويلة ومغامرة تستغرق زمنًا طويلاً في بحر هادئ تارة وهائج تارة أخرى، وعلى المرء أن يعمل كل يوم للحفاظ على قدرة السفينة على الإبحار، وعلى عدم انحراف السفينة عن مسارها»، وهكذا هو الزواج والأسرة والمنزل.

يقول الدكتور محمد فتحي صاحب كتاب (إدارة البيوت والأزمات المنزلية):

«وحتى تحافظ دائمًا أنت وكل من في البيت على إبحار السفينة يجب أن تعرف ما الذي يُغرقها أو يحولها عن مسارها الرشيد، فالبيت قد يغرق نتيجة غرق الحب والمشاعر بين ساكنيه، والناتج أنهم أصبحوا أسرى حياة رتيبة مملة أمسهم كحاضرهم ولن تختلف كثيرًا عن غدهم، فالحب بين كل من في البيت خاصة بين قائد السفينة ومساعده – الزوج والزوجة – كالشجرة الوارف ظلالها يراها ويستفيد منها كل من يمر بها أو يحيا تحت ظلالها، كما أن البيت قد يغرق لعدم العلم بكيفية إدارته أو العلم بالإدارة، ولكنه ينقصه الإدارة، وقد تجد البيت لا يحتاج أموالاً ولا ترشيدًا لنفقات فالحمد لله الخير وافر يعم الجميع ولكن الأبناء، نعم الأبناء كل منهم لغم متفجر بمفرده، نار لا تنطفئ، وأحيانًا الأب والأم بسلوكيات سيئة يدمر منزله ويُغرق سفينته بيديه ثم عندما يعود لرشده يكون قد فات أوان العودة، فلا يملك إلا البكاء على الأطلال».

إذن وحتى تسير بيوتنا ومنازلنا وفق منهجية وبين الأمواج المتلاطمة من غير أن تنقلب علينا وعلى أبنائنا، ترى ماذا نحتاج؟ وكيف يمكن قيادتها من غير عراقيل؟ ومن الذي يجب يقودها؟ وأسئلة كثيرة ربما يمكننا أن نجيب على بعضها ونترك جلها من غير أن نعرف الإجابة عليها، ولكن يكفينا فخرًا أننا نحاول أن نرمي بحجر في المياه الراكدة التي لا يرغب أحد في تحريكها.

ما الأسرة ؟

كعادة جميع المصطلحات الإنسانية يصعب تحديد تعريف واحد أو تفسير واحد لمصطلح، بمعنى آخر فقد وجدنا العديد من التفسيرات والتعاريف لمصطلح الأسرة ولكننا سنحاول أن نعتمد تعريف بوجاردس الذي قال «الأسرة هي جماعة اجتماعية صغيرة، تتكون عادة من الأب والأم وواحد أو أكثر من الأطفال، يتبادلون الحب ويتقاسمون المسؤولية، وتقوم بتربية الأطفال حتى يمكنهم من القيام بتوجيههم وضبطهم ليصبحوا أشخاص يتصرفون بطريقة اجتماعية»، ويضيف مصطفى الخشاب «الأسرة هي الجماعة الإنسانية التنظيمية المكلفة بواجب استقرار وتطور المجتمع»، ويمكننا أن نضيف أن الأسرة تتكون من زوج وزوجة ويربطهما رابط شرعي، فنحن كمسلمين، وهذا هو المبدأ الأول في تكوّن الأسرة أن يربط بين هذين الشخصين رابط شرعي، فمن غير هذا الرابط الشرعي فإن الأسرة لا تكون قد قامت على المبدأ الصحيح.

وعندما تقوم الأسرة على هذا المبدأ الشرعي فإنها تعتبر بحق الخلية الأولى للمجتمع الذي يحيطه العديد من التيارات الفكرية والمادية والثقافية وما إلى ذلك، وبما أن كل هذه التيارات تهدد المجتمع فإنها من باب أولى أن تهدد الأسرة، لذلك فإن الأسرة ليست أبا وأما فقط، ولا تقع المسؤولية الكلية على هذين الفردين وإنما يمكننا القول وبكل قوة إن لكل فرد من أفراد الأسرة دور فعال في كيانها حيث إنه يؤثر فيها وتتأثر به، فهو جزء من كيان متكامل إن تعطل تعطل كل هذا الكيان مهما كان متماسكًا.

التفكير في إدارة المنزل

أعتقد أنه من يسمع بمصطلح «إدارة المنزل» فإن كل تفكيره يتركز على الإدارة المالية والاستهلاك المنزلي، ولا يذهب تفكيره إلى أبعد من ذلك، والقليل من الناس – ربما – يضيف إلى ذلك تربية الأولاد، أما بقية الأمور فمعظمنا لا نفكر فيها، على الرغم من أن إدارة المنزل لا تختلف كثيرًا عن العديد من الأمور التي نعيشها، فالمنزل حب واحترام وإدارة للجودة بالإضافة إلى تغافل وتساهل، وكذلك إدارة متكاملة وقيادة، وربما كل ما يخطر ببالنا من نظريات وحقائق وأفكار.

وللأسف فإن الكثير من الأزواج والزوجات – ولا نقصد حديثي العهد بالزواج فحسب – يعتبرون الزواج والبيت فندقا، حيث أنهم يدخلون لتناول وجبة الغداء، ونوم، وتكاثر أما الأمور الأخرى كالتسلية والتآلف والحب والاحترام فإنهم يبحثون عنها في أماكن أخرى كمقاهي الشيشة مع أصدقائهم أو في البارات أو مع صديقات وأصدقاء، وإن ضغط على نفسه قليلاً ليخرج مع زوجته فإنه يذهب معها إلى السوبرماركت لشراء مستلزمات المنزل فقط، فإن طالبته – الزوجة مثلاً – للخروج لتناول العشاء أو التنزه يقول لها «لقد خرجنا منذ لحظات، فلماذا الخروج مرة أخرى»، وأنا لا أقول ذلك من باب الخيال، وإنما هي حقائق رأيتها أمامي للكثير من الشباب وكذلك سمعتها من الكثير من المتدربات اللاتي قمتُ شخصيًا بتدريبهن، وخاصة في الدورات المتعلقة بتطوير الذات والتخطيط الشخصي والأسري.

وهذا لا ينطبق فقط على الرجل فالنساء أو الزوجات – كثيرًا – ما يهملن أزواجهن، فنجدها طوال النهار جالسة في منزل والدها غير آبهة بزوجها أين ذهب؟ أو من يصاحب؟ أو مع من يتكلم؟ ماذا يأكل ومن أين؟ كل همها أن تذهب إلى بيت والدها يوميًا عندما تعود من العمل، تذهب مع والدتها إلى حفلات الاستقبال وحفلات الزواج وارتياد الأسواق، وعندما تعود إلى المنزل ليلاً تعود منهكة لا تراعي المتطلبات الزوجية ولا تعرف كيف تهتم بأطفالها ولا منزلها، وعندما تعود إلى المنزل تجد أن الجميع نيام، فلا ينتظرها أحد ولا يعرف أحد

متى دخلت المنزل ومتى خرجت، وفي الصباح الباكر تغادر إلى العمل من غير أن يشعر بها أحد أو تشعر بأحد.
وبعد عدة سنوات تعيش هي في فراغ عاطفي، ويعيش هو في فراغ عاطفي، حينئذ قد تجد لها صديقا ويجد هو صديقة، فتسير الأمور إلى أبغض الحلال، ويذهب كلٌ منها في طريقه الجديد، ويضيع الأبناء ما بين الرجلين.
وحكايات كثيرة، سواء تلك المتعلقة بالعاطفة والاحترام أم بتربية الأبناء وبلوغهم المراحل الدراسية وتجاوز تلك المراحل ليتخرجوا أطباء أو مهندسين أو معلمين وكل من تلك التخصصات التي تحتاج إليها الدولة والمجتمعات، أم ستكون الأسرة هي نفسها مسؤولة عن تخريج أبناء مدمنين على المخدرات والكحول وتحلل وفساد، كل هذا بسبب هذه البؤرة الصغيرة التي تقبع وتمثل جزءً من المجتمع.
أنا أعرف حكايات، وأنت أيضًا تعرف قصصا، وكلٌ منا شاهد أو سمع أو حتى عاش حكايات كثيرة بعضها تروى والعديد منها يصعب روايتها ربما لأنها لا تصدق ولكنها واقع، وتظل واقعًا.
وهناك حكايات تدخل فيها قضايا السحر والشعوذة، والحقد والكراهية، ولقد حضرتُ شخصيًا العديد من تلك الجلسات التي ترى فيها أن ذلك الإنسان العاقل ينقلب فجأة إلى إنسان آخر ويتقلب عندما يُقرأ عليه آيات من القرآن الكريم، ثم تتفاجأ أن من قام بعمل تلك الشعوذة والسحر إنسان قريب جدًا من ذلك الإنسان المبتلى.

سنحاول من خلال فتح ملف الأسرة أن نتطرق إلى العديد من الحكايات والقضايا سواء الإيجابية أو السلبية، وسنحاول أن نأخذ منها العبر، بالإضافة إلى

إننا سنناقش بموضوعية – كعادة منهجنا في الكتابة – القضايا التي تهم الأسرة مثل الاستهلاك بجميع صوره والإنفاق والتوفير، وتربية الأبناء ومشاكلهم وما يعانونه مع الوالدين وما يعاني الوالدان من تربية الأبناء.
وفي النهاية سنحاول أن نكوّن صورة شبه واقعية عن كيفية إدارة المنزل، ومن الذي يجب أن يقود سفينة المنزل حتى تصل إلى بر الأمان، فهذه السفينة تحتاج إلى قيادة مركزية وقيادات فرعية، وشركاء.

ويبقى السؤال المهم من أين نبدأ وكيف يمكن أن ننتهي، على الرغم من أن هذا

الملف – إدارة الأسرة – ملف شائك لا يغلق أبدًا وهذا بحسب رأيي المتواضع، إلا

أني أود أن اختم هذا المقال بقولي إن العديد من الأشخاص – اليوم – تصدوا إلى هذا الملف من غير علم ولا دراية، وإنما قاموا ينقلون من الإنترنت وجمعوا العديد من المعلومات ثم بدأوا يتكلمون ويتكلمون وفجأة أصبحوا يتصدون لحل المشكلات العائلية، وللأسف فإن هؤلاء الأشخاص دمروا العديد من البيوت الآمنة إما بسبب الجهل أو التجاهل.

ولنا عدة لقاءات قادمة.